رحـــيل هـادي العلوي باتـجـاه الإنسـان الكامل

عبد الرزاق عيد

تحدث هادي العلوي، في حوار أجرته معه جريدةُ السفير ونُشِر قبل وفاته، عن الموت بوصفه « تجَوهُرَ النفس واشتدادَها في الوجود»، مستعيراً تعريفَ صدر الدين الشيرازي. وعلى هذا فالمتصوف لا يخشى الموت، لأنّ الموت في التصوف هو استكمالٌ لتطوّره نحو الإنسان الكامل. ومن هنا كان التّاويُّون يغنّون لموتاهم ولا ينوحون عليهم.

«حملُ الصليب»، زيتيّة لهيرونيموس بَوش (١٥١٠ ؟)

حين يقول هادي شيئاً، فيجب تصديقه، حتى لو كان قولُهُ شطحاً. والسبب، ببساطة، هو أنّ هذا الرجل لا ينطق عن الهوى، بل يأتيه القولُ من مدارات الحق ـ التاو، يبثّه في روعه فينطق به حقاً. ولهذا ينبغي تأبينُ هادي بالفناء العُلويّ الذي يتسامق إلى مستوى تجوهرِ نفسِه واشتدادها في الوجود. وينبغي تأبينُهُ بوصفه واحداً من الأبدال، ضنائنِ الله الأولياء؛ فإبراهيم بن أدهم يعرّف الولاية قائلاً للسالكينَ إلى مقامها: «لا ترغبْ في شيء من الدنيا والآخرة».

وتلك لطيفة من لطائفه، إذ يميِّز هادي الراحلُ بين الزهد الفقهي والزهد التصوّفي، وذلك في سياق عمله المعجمي. فيأخذ على المعاجم الحديثة خَلْطَها بين المفهومين، عندما تُعرّف الزهدَ عند المتصوفة بأنه «بغضُ الدنيا والإعراضُ عنها طلباً للآخرة»، فيردّ هادي على التعريف بأنه ينطبق على الزهد عند الفقهاء فحسب، لأنّ زهد المتصوفة يقوم على «الإعراض عن الدنيا والآخرة معاً ليكون سبيلاً للمعاد الروحاني».

ومن هذا القبيل في التمييز، ما يفسِّره الشيخ شعيب أبو مدين في مدار حرف النون في كتاب **مدارات صوفية** ـ وهو آخر ما صدر للراحل ـ إذ يشير التمييز إلى الفرق بين النزول والتنزُّل. فالنزول انقطع، والتنزُّل باقٍ إلى يوم القيامة. والنزول والتنزل هما وجها الوحي، وقد «اختصّ النزول بالأنبياء، والتنزل بالأولياء» ويبقى النزول ناقصاً بدون التنزل؛ ففي الأماكن التي ضنَّت عليها السماءُ بالنزول قام الأولياء بما يقوم به الأنبياء. وأدّى الاستغناءُ عن الوحي إلى التخفف من كثير من التعب والعناء، إذ يقول أحد المشايخُ: «إنّ الرسل طوَّلتِ الطريقَ إلى الله» (ص ١٣ ـ ١٤ من **مدارات صوفية**).

إلا أنّ نبياً واحداً التَفتَ إلى هذه المفارقة فأوقفها، وهو المسيح. لكنّ الشيخ الذي أخذ على الأنبياء تطويلَ الطريق لم يفرِّق بين يسوع والكنيسة؛ وعلى هذا فإنّ الطريق يبقى طويلاً إلى الله مع اليهودية والإسلام والكنيسة، وقصيراً مختصراً مع المسيح؛ وهو طويل مع بوذا وكونفوشيوس والهندوس، ومختصرٌ مع الصوفية والتّاويّة. وهكذا تلتقي - بحسب هادي - الصوفيةُ والتاويّةُ والمسيح في العلاقة المباشرة مع السماء. ولهذا يستخلص هادي أنّ البلاد كلما خَلَتْ من الدين سهلتْ عليها المسيرةُ ولم تُستثقل، لأنّ الدين لا يحقّق ذاته إلا بالتكاليف، مستغرباً على شيخه ماركس الحديثَ عن بساطة الدين، لأنّ الدين معقّد ومثقل بالطقوس: «ولعلّ شيخنا [ماركس] استخلص قوله من حال المسيح، وهو استثناء في الأديان» (ص ١٤). لكنّه يعود ليختلف مع شيخه ماركس في تقويم حركة المسيح؛ فقد حسب ماركس أن إخفاق سپارتكوس مهّد لانتصار المسيح، بينما يرى هادي أنّ المسيح لم ينتصر، مثله في ذلك مثل سپارتكوس والحلاّج وصاحب الزّنج والشهداء كلهم. وإذا كان انتصار بولص الرسول انتصاراً للمسيح، فهو كاعتبار انتصار حزب العمّال البريطاني انتصاراً لماركس (ص ١١٩)!

ويعقّب هادي أنّ المسيح يتمتع بفرادةٍ بين الأنبياء، كفرادة المعرّي بين الأبدال. فالمسيح يجمع في أحلامه وأشواقه وفي مسلكه الشخصي صورةَ التصوف والتاو، وفي حركته صورةَ الحلاّج، لا صورةَ تشوانغ تسه أو البسطامي، لأنه [أي المسيح] نزل إلى ميدان النضال المباشر، في حين أنّ الأخيرين كانا من رجالات النظر الفلسفي. وجمع المسيح بين التصوّف الفلسفي والتصوّف الاجتماعي، أي الفناء في ذات الخلق على طريق الفناء في ذات الحق.

هادي في **مداراته الصوفية** يمارس شكلاً من أشكال وحدة الوجود، عندما يَحلّ في كلّ عناصر النصّ، ويتوحّد بشخصياته، وكأنهم ممثّلون لتاريخه الشخصي. فهو يتحدث عنهم كما يريدهم أن يكونوا عليه، وإلا فلا حظّ لهم من الولاية والبدالة والضِنانة.

فضنائن الله الذين يَعْرضهم في **مداراته** كُثُرٌ، لكنه يتوقف وقفةً حواريةً خاصةً مع أصحاب المقامات العليا: لاوتسه، منشيوس، موتسه، تشوانغ تسه، يسوع الناصري، مزدك، أبوذَرّ، روزبه [سلمان الفارسي]، عامر العنبري، إبراهيم بن أدهم، الحلاّج، النِفّري، أبو العلاء المعري، عبد القادر الجيلي، شاوپونغ، غوته، كارل ماركس، لينين، تولستوي. وينتهي بإيڤار لويوهانسون السويدي المعاصر، رغم أنه عندما توفي سنة ١٩٩٠ «لم يكن يحمل ثقافةً تاويةً أو صوفيةً أو ماركسية، وإنما يحمل قلباً كقلوبهم؛ فهو الذي أرغم الربَّ على جعله من ضنائنه» (ص ١٥٦).

تلك هي صورةُ المثقف الكوني في مداراته المتعددةِ الجنسِ والهويةِ واللغة. وفي هذه المدارات يمارس هادي العلويّ حلولَه ليغدو - حسب غولدلبرغ - «جندياً في جيش الربّ السريّ ليناضل من أجل المستضعفين وضد غريزة الجشع والتدمير؛ ومَنْ يقوم بهذا النضال يكافأْ بظهور المسيح له في زوبعة الشوارع والساحات» (ص ١٥٧).

لمعة

في سنة ١٩٨٧ شاركنا في ندوةٍ بمناسبة مرور سبعين سنة على ثورة اوكتوبر، وكانت تلك آخر الندوات.

قدّم هادي دراسةً عن لونا تشارسكي، فبدا لنا صوفياً من الأبدال. وهادي، في كل الأحوال، يعتبر البلاشفة، قادةَ ثورة أوكتوبر، أبدالاً من ضنائن الله الذين يُرسلهم لحفظ نظام الكون.

قلتُ له: «يا أبا حسن من أين لك هذه المرجعيات التي منحتك كلَّ هذه المعلومات والمعارف، عن العالم الروحي الداخلي للرجل، وكأنك كنتَ ملازماً له؟» وعندما أبدى استغرابه من سؤالي، أضفتُ «كأني بك يا أبا حسن تحدِّق في أعماقك وأنت تتحدث عن قيم الرجل ونبله الروحي والأخلاقي». ضحك أبو حسن ضحكةً طفولية، وبجذلٍ قال: «إيه، إيه، لقد كشفتني»!

هكذا يقوم هادي بمعراجه في ردهات التاريخ. إنه لا يأبه لتعاقبيته الوقائعية الحدثيّة؛ فتلك مهمةُ المؤرخ التسجيليّ، المؤرخ التقنيّ؛ مهمةُ المثقف الذي يكتب تاريخَ الأغيار (أيْ رجالِ السلطة والمال والدين)... بينما تاريخُ الأبدال، تاريخُ المقامات والضنائن، هو تاريخ الروح الذي يسري في أوصال الوقائع والحدثان. وعلى هذا تغدو مهمة هادي مع التاريخ كمهمة السالك إلى الله لاقتناص مطلقه. هكذا يعصر هادي التاريخَ للقبض على تاريخيته، على الألق الأبيض في سِفْر الروح، حاملاً عطشَه وجوعَه إلى إمساك اللباب والجواهر، بعد أن أخضع البدنَ للحرمان الماديّ إلى درجة الزهد والتنسك، ليتمكن من الدخول في حضرة الملإ، حضرةِ الأقطاب ومقاماتهم. وبلغ به الأمرُ درجةَ الخجل الداخلي من الطعام في حضرة الآخرين، ولاسيما عندما يكون في وسط الجماعة خلال الندوات، فكان يردِّد قول أحد شيوخه «انتظارُ المَرَقِ مذلّة». بل ذهب بعيداً في قطيعته مع السلطة، حتى ولو لم تكن من سلطة

الأغيار، بل يكفي أن تحمل طابعاً مؤسساتياً كي يحرِّم طعامها!

لطيفة من لطائفه

في أحد اللقاءات مع الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (نايف حواتمة)، طال اللقاءُ الذي كان يضمّ لفيفاً من المثقفين اليساريين المدعوّين للحوار مع «أبو النوف». فقام المضيفون في الجبهة الديموقراطية بوضع صحون فواكه أمامنا بعد أن بلغ منّا الليلُ آخره، فأكلنا... إلا أبا حسن. قال له صديقُنا أحمد برقاوي: «لِمَ لا تأكل يا أبا حسن؟». فأجاب أنه لا يأكل من زاد السلطان!

وهكذا لم ينفع «أبا النوف» كلُّ تاريخه كجندي في جيش الربّ السريّ من أجل الوطن والمستضعفين، بل وضعه هادي مع الأغيار ما دام يتمتع بموقعٍ تراتبيٍّ في مؤسسة؛ والمؤسسةُ في كلّ أحوالها (بحسب أبي حسن) سلطةٌ، وكفى... رغم أنّ اللقاء تمّ في المرحلة التي بدأت الجبهةُ الديموقراطية فيها تَدْخل مرحلةَ الكفاف، وبيع بعضِ مكاتبها، وتقليص أعداد مجلتها **الحرية** التي كانت منبرَنا المشترك (أنا وهادي) لفترةٍ طويلة.

مدار المدارات

إنّ التاريخية التي اختطّها هادي تقوم على طوبى المثل الأعلى التي ينبغي أن توجِّه التاريخَ الواقعيَّ باتجاه تاريخٍ قيميٍّ معياريٍ يبلغ في معياريته الطوباويّة مبالغَ المطلقِ الذي في فسحةِ ملكوته تتحقق المصالحةُ بين الخالق والمخلوق. ففي هذه الفسحة تُلغى الحدودُ وتبطلُ الوسائطُ وتتحقق عمليةُ المذاهنة مع السماء، من خلال الوحدة التي أقامها أبو يزيد البسطامي بين الخالق والمخلوق، أو من خلال الاتحاد والانحلال والفناء في الذات الإلهية عبر معادلةٍ موحِّدةٍ يتألّه فيها الإنسانُ ويتأنسن الإلهُ في صيغة الحلاّج: «أنا الحق»... وهي التي يفسِّرها هادي بأنّ الحلاّج كان يمارس مقامَ الفناء في الحق، ولم يكن غاصباً يدعو لنفسه؛ ولهذا يعلّل هدرَ دمه لا بسبب شطحاته ـ فالبسطامي سبَقَهُ إلى شطحاتٍ تهدم العقيدةَ من أصلها، وأبو بكر الرازي يكتب كتابه عن «مخاريق الأنبياء» في المدينة نفسها التي حكمتْ بالإعدام على الحلاّج لكنها بدلاً من إعدام الرازي عيَّنته رئيساً لأكبر مستشفياتها ـ بل لأنة (أي الحلاّج) «كان جَسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم يروم انقلاب الدول» (ص ١٣١) على نحو ما يقول هادي مقتبساً ابنَ النديم.

هكذا تضعنا تاريخيةُ هادي المعياريةُ الطوباويةُ في صلب الموضوع، موضوعِ الواقع والمجتمع والبشر؛ وهي المفردات التي تُختصر في معجم المصطلحات الصوفية بالخلق. والعلاقة بين الخلق والحق هي العلاقة الأخلاقية بامتياز؛ إنّها العلاقة التي تؤسِّس لطموح البشر اللامتناهي باتجاه امتلاك عالم القيم والمثل. كيف يمكن أن يتّحد الشيء بصورته في عالم المثل الأفلاطوني؟ كيف يمكن للحسّي أن يرتقي إلى مستوى ملكوت المعنى، ملكوتِ النور؟ فبدون انبعاث هذا النور من الداخل، ليس ثمة أنوارٌ وفقَ شعارِ عصرِ التنوير الأوروبي، الذي يسعى هادي إلى انتزاعِ المسيح منه وإعادتِهِ إلى أرضه ووطنه ليكون من بدائل الشرق المشاعيّ بالفطرة، في حين أنّ الغرب لم يأخذ من يسوع الناصري سوى الكنيسة التي صاغ دنيويَّتَها المؤسساتيةَ «بولص الرسولُ».

إنّ استحضار التراث الروحي هذا لا يعبِّر عن أزمة وجدانية أو روحية عند هادي، بل يعبِّر عن طموحٍ حقيقي إلى فضح حالة التردي الأخلاقي والقيمي التي لحقتْ بالحركة الثورية العالمية. ولهذا أراد هادي أن ينقذ هذه الحركة من خلال إنقاذ ذاكرتها، عبر بعث نموذجها البدئي الذي يصوغ لاشعورَها الثقافيَّ والروحيَّ. والنموذجُ البدئي هو بالضرورة نموذجٌ أسطوري، يكثِّف كلَّ الأحلام المجهضَةِ للبشرية على طريق تحقيق بشريتها. والنموذج الأسطوري هنا ليس نموذجاً خرافياً، بل هو النموذج الأونتولوجي الذي تحضر فيه كلُّ التطلعات المجهضة التي يبعثها البحثُ عن الحق، وهو نموذجٌ يتردّى دونه الخَلْقُ، وتتطامن الحقيقةُ المعرفيةُ أمام الحقيقة الواقعية الرثّة والمبتذلة والبذيئة التي تغلغلتْ في صفوف قوى الثورة العربية والعالمية.

أهدافُ العرب واضحة منذ أكثر من قرن، ومع كل وضوحها البديهي لم يحقِّق العرب أيَّ هدف منها، فما هي الأسباب؟ هل تكمن علّةُ الإخفاق في البناء المفاهيمي للعقل، وأسس بنيته التكوينية المعرفية؟ وإذا كان العرب يعرفون أهدافهم في الوحدة والتحرر والتقدم

أصدقاء هادي ورفاقه صاروا ينتظرون خلاصهم من خلال الغرب الإنكليزي والولايات المتحدة

والديموقراطية منذ زمن طويل، فأين دور «المعوّقات الابستيمية» (المعرفية)؟

المشكلة تكمن في عدم التطابق بين الوسائل والأهداف، إذ أنتج الواقعُ العربيُّ في ظروف الإمبريالية والإلحاق والتبعية وسائلَ تتناقض جذرياً مع الأهداف. وهذه الوسائل تتمثل في البشر الذين تقع على عاتقهم مهمةُ تحقيق الأهداف. ذلك أنّ الحامل الاجتماعي كان هشّاً تالفاً، دنيوياً، مفوّتاً، لصيقاً بحاجاته الغريزية النَّهازة الطمّاعة الكلبية، ولاسيما إذا كان الأمرُ يخصّ موطنَ هادي العلوي، وهو موطنٌ كان حاضرةً كونية في غير محطةٍ من محطات التاريخ. فإذا ما نظر الرجلُ إلى مَنْ حوله من الأبدال والضنائن، أصحابِ المقامات والكشف والأحوال، لم يَرَ أحداً، ولم يجد سوى مشاريع فردية: من ملتحقٍ بالسفارات الغربية، إلى متعيِّشٍ يحوِّل موازنة حزبه الشيوعي العريق والأحزابِ الشيوعيةِ العربيةِ إلى رصيدٍ شخصي بخسٍ في زمن الإفلاس الفكري والأيديولوجي ونهوضِ النزعات ما قبل القومية (من أقوامية وإثنية وطائفية وعشائرية)، وكأنّ الانتماء إلى الثورة والتغيير لم يكن سوى طلاءٍ لأرواحٍ جُوفٍ، أو زركشةٍ تحديثيةٍ على سطح جلدٍ متفسِّخ.

لم يجد هادي وسط هذه الفضاءات المُلتاثة بالخيانة، والعمالة، والدناءة، والسقوط، سوى بعث الحياة في الأرواح الجوف، من خلال إعطاء الأولوية للأخلاقيّ في زمن الاستنقاع على المستوى الأممي وعلى المستوى القومي والوطني. وهكذا تطلّع إلى إيقاظ إنسانيةٍ جديدةٍ، أمميةٍ جديدة، مشاعيةٍ جديدة، تبدأ من لحظة الكشف الضرورية عن العلاقة اللازبة «بين الخلق والحق». ورأى أنّ الوجود الإنساني، لكي يكتسب إنسانيته، لا بد له من الارتفاع عن الحيواني الغريزي فيه، باتجاه القيمة (الحق). فعالم القيمة هو الذي يمنحُ الوجودَ البشريّ معنى بشريّتِهِ. وبهذا أراد هادي أن يدمِّر الإلحاد الأخلاقي الذي ساد مناخات الحركة الثورية، حيث ما يُفترض أنه عقل دياليكتيكيٌّ يتحول إلى إيمانٍ أعمى بالمصالح الفرديّة، أي يتحوّل إلى الإلحاد بكلّ شيء إلا بالأشياء التي يمكن أن تستحوذ عليها الأنا... وهذه الأنا تخصخصتْ هي أيضاً في زمن النظام العالمي الجديد الذي تتحلق حوله الجماعاتُ والأحزابُ التي كانت تمثِّل لهادي قوى الأبدال، فإذا بها تنتظر خلاصَها، وإذا بالأصدقاء والرفاق ينتظرون خلاصهم الوطنيّ والقوميّ والإنسانيّ والديموقراطيّ من خلال الغرب الإنكليزي والولايات المتحدة الأميركية، التي يُدْرج هادي في برنامجه الموضوع للحركة المشاعية العراقية توصيفَ غيفارا لها بوصفها «عدوَّ البشرية الأوحد».

لمعة: حرب الخليج الأولى

التقيتُ أبا حسن مصادفةً في مكتب مجلة **الهدف** [الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين]، وكان محتدماً وهو يحاور أحدَ صحفيي المجلة الذي كان يمجِّد الانتصارات العراقية على إيران في أواخر حرب الخليج الأولى، معرِّضاً بالمعارضة العراقية، ومشيداً بصدام حسين. فإذا بأبي حسن يتحول إلى نمرٍ ضارٍ، ويحمل كرسيّاً ويهاجم الصحفيَّ المذهول من ردة فعلٍ لم يكن ليتوقعها. هدّأتُ أبا حسن الذي كان يحشرج بكلماتٍ غاضبة قائلاً: «هل يمكن للفلسطيني، رمزِ الاضطهاد العالمي، أن يدافع عن الطغاة؟ أم ظننتَ أنّ حجمك الكبير سيخيف حجمي الصغير؟ أنا لديَّ قوةٌ معنوية أقاتل بها جيشاً!».

وفي الفترة ذاتها عُقدتْ ندوةٌ للأحزاب الشيوعية العربية من خلال مجلة **النهج**، فتفرَّدنا (أنا والراحل) في التنديد بعملية «حلبجة» [حيث قُتل عشرات آلاف الأكراد بغاز الأعصاب وغيره] وانتقدنا الأحزابَ الشيوعيةَ العربيةَ التي التزمتِ الموقفَ السوفيتيَّ الصامتَ تجاه الحدث، متكهِّنين منذ تلك اللحظة ببداية اللعبة الأمريكية بالورقة الكردية، أمام صمت قوى التحرر.

المفارقة: حرب الخليج الثانية

أبو حسن ظل ذلك النمر الضاري، وهو يرسل كلماته شُواظاً، لكنْ ضد العدوان الأمريكي على وطنه هذه المرة. وكنّا جميعاً نتنفّس مع الجماهير العربية البارودَ، فإذا بنا نتحول من أصدقاء للشعب الكردي إلى «عملاء لصدام حسين»، وذلك وعلى لسانِ مَنْ كانوا يهلِّلون للعدوان الأمريكي ويسمّون أبناءهم بـ «بوش». بل إنّ الناطق الرسمي باسم التحالف المعارض، ورئيس تحرير مجلة **النهج**، يعلن لإذاعة لندن أنّ العدوان الأمريكي على العراق لا يمسّ السيادةَ الوطنية للعراق!

ولأنّ الراحل هادي العلوي كان أممياً عقلاً وروحاً، فقد كان مثقفاً كونياً تنظُّف داخلُهُ من كلِّ الرواسب الأقوامية

استحضار التراث الروحي لا يعبِّر عن أزمة هادي الروحيّة، بل يفضح التردّي الأخلاقي للحركة الثورية العالمية

والإثنية والطائفية. كان وطنياً عراقياً، عربياً، كردياً، شيعياً، سنيّاً، مسيحياً، هرطوقاً، إلهياً، مَعرِّياً، مزدكياً، لاوتسياً، ماركسياً، لينينيّاً. هكذا تنصهر كلُّ الثقافات في مرجل الروح، فتصهرها ذوْباً عذباً، وفناءً خلاّقاً في الله والوطن والمجتمع والشعب، اهتياماً وفناءً في الخلق، ليخلو له سبيلُ السلوك للفناء في ذات الحق.

نكتة حول مدار حرف الميم

كان للراحل موقفٌ مزدوج من صادق جلال العظم. فهو يكنّ له إعجاباً مضمراً بشجاعته الهرطوقية المبكرة، ولكنّه ـ من جهة ثانية ـ يُنْكر عليه تعاليَهُ في مسائل شؤون الخلق، ويشدِّد في نقده وهجومه الذي قلّما خلا منه حديثٌ على اتّهامِهِ بالترويج والتسويق للمشروع الأميركي في المنطقة، وعلى أنّه عرّاب كل المثقفين اليساريين الذين يهرولون للدعوات الأمريكية، سواء أكانت الدعوة إلى السفارة الأميركية أم إلى زيارة الولايات المتحدة نفسها.

قيل له ذاتَ مرّة، من باب المعاتبة والمغاضبة: «أنت تشدِّد النكير على رجلٍ تطوف حوله التهمُ، بينما أنت تتعامل رسمياً مع قوى وأطراف، بل ومع مجلة **النهج**، ورئيس تحريرها. ومعظم هذه الأطراف تمثّل معارضةً تراهن على أميركا في خلاص العراق». فأجاب: «أنا أنتقد الأبدالَ من أصحاب المقامات الفكرية كصادق العظم. أما الآخرون فهم من الأغيار المتهالكين على السلطة والمال، وهم أشبه بالفقهاء ورجال الدين الذين لا يحتجّون على سلطة إلا وقد أمّنوا لأنفسهم سلطةً بديلة. إنّ هؤلاء من البدائل في يد السلطة، أيّا تكن هذه السلطة وأياً يكن مالُها، سواء أكان أمريكياً أم خليجياً. فلهم مداراتُ البدائل الأغيار، ولنا مداراتنا ـ مداراتُ الأبدال والضنائن».

ويعلل صلته بأولئك «الأغيار» بأنه إنما يستخدم منابرهم في خدمة قضية الحق/الخلق، وهو يعرف أنهم يتطهّرون ويتباركون بمقامه. وهو لذلك يكتب في **نضال الشعب**، جريدة أحد الأطراف الشيوعية، ليشتم أمريكا مِنْ على منابرها، رغم معرفته بموقف أتباع هذه المجلة الداخليّ غيرِ المعلن، واعتبارهم عدوانَ أميركا على شعبه ووطنه العراق «تنفيذاً للشرعية الدولية». فهم أيضاً ينتمون إلى مدارات الأغيار (السلطة)، سلطةِ الدولة والمال، ولكنّ هادي كان يؤْمن بعدم إضاعة أية فرصة أو سانحة أو وسيلة لمحاربةِ أميركا، عدوّةِ البشرية الأوحد كما كان يراها.

كلمة في حد الفناء

إنّ يأسَ هادي من كل القوى الرافعة لراية العدالة والتحرر الوطني دفعتْ به إلى الإعلان عن حركة مشاعية، وبيانٍ مشاعيّ، يعبِّر من خلاله عن الطوبى التي شكّلتْ معنى حياته الروحية والوجدانية. ويدعو الجماهير، فورَ انهيار النظام القائم، إلى إقامة الدولة المشاعية في العراق. وأولى مهمات هذه الدولة: استحداثُ وزارةٍ باسم «وزارة التنظيم المشاعي للمجتمع». وأما المهمة الثانية ـ وهنا مكمن الألم المضّ من عالم الأغيار المدّعين سلوكَ دربِ البدائل ـ فهو أنّ «تُعْهد الوزارةُ ومؤسساتُها إلى أشخاصٍ رحماء موصوفين برقّة القلب ونزاهة الضمير، بصرف النظر عن انتماءاتهم السياسية وعقائدهم الدينية...» (ص ٢٦٩).

ومَنْ هم هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات؟

إنهم ممثّلو الثورة المشاعية التي تترقى في مدارج السالكين من يوم يسوع إلى يوم لويوهانسون، وموطنُها هو عندنا، في وطننا العربيّ، بعد أن انتسفتْ قواعدُها القليلةُ في الغرب.

وهو، في إطار التمهيد للثورة المشاعية، يعلن أنه لا بد من تكنيس الثقافة المترجَمة ودعاتها ومطاياها، ومعها «سياسات السلطة والمعارضة بوجهيْها المتوحِّديْن خلف النموذج الأمريكي السائد» (ص ٦٢). ويُعْلن بلسان الحلاّج مشاعيةَ المال، وبلسان صلاح الدين شعارَ الوطنية ضد الغرب، وضد الولايات المتحدة التي تخوض ضدّنا حربَ إبادةٍ إما هي وإما نحن. وسنكون نحن المنتصرين، لأنّ تدرُّج مقامات السالكين منذ يسوع إلى اليوم قادر على حفظِ نظام الكون، وحفظ الإنسان بوصفه مركز الكون، وبوصف الولايات المتحدة هي العدوّ اللدود للإنسان والكون.

مدار الحزن والرثاء

نمْ قريرَ العين، أبا حسن، رغم أنّ الأغيار يملأون الديار، لكنّ الأمة القادرة على إنجاب أناسٍ أرواحُهم صافيةٌ صفاءَ روحك، وجِبِلّتُهُم من نار البراكين، ونفوسُهم ـ كَنَفْسِك ـ تعجز عن حملها الأجسامُ، لا بد أن تحقق نبوءتك بانتصارنا «نحن». لستَ سياسياً ولم تكن سياسياً وما كان لمقامك الجليل أن ينحطّ إلى مستوى السياسة المنحطّ اليوم عربياً وكونياً. ولذلك، فالأغبياء والدجّالون وحدهم هم الذين يناقشون صحةَ بوارقك ونفثاتك ولمعاتك المشاعية بوصفها برنامجَ عمل. فالحق أنها التماعاتُ ضميرك السالك في مدارات الحرية ومعارج الكون، للالتحام بالمطلق، والفناءِ في ذات الحق. قدّس اللهُ سرّك وسرَّ أجدادك الأبدال، منذ لاوتسه مروراً بيسوع الناصري والحلاّج والمعرّي، وصولاً إلى ماركس ولينين وتولستوي وإيڤار لويوهانسون.

حلب